ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾:

الصبر كاستقامة سلبية حفاظاً على كيان الإيمان هو الناحية السلبية من كلمة التوحيد، كما الصلاة قوامةٌ إيجابية - تَداوُمَ التكامل لحاصل الإيمان - هو الناحية الإيجابية لكلمة التوحيد، فالصبر ككلٍّ يعني الشطر الأوّل لهذه الكلمة، والصلاة ككلّ للشطر الثاني، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ تأكيد للمرحلة الأولى فإنها أهمّ من الثانية، وهذه المعية الربانية للصابرين كافلة لصالح المرحلتين.

هنا تُرجَّح ميزانية الصبر حيث المسرح يستقبل حكم الجهاد بُملاقاة الأهوال ومُقارعة الأبطال فالاهتمام بالصبر فيه أهم، وهناك في أخرى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[1] ترجِّح ميزانية الصلاة لأنها كأصل وضابطة خير موضوع وهي عمود الدين، ونظراً إلى احتمال ثان «إنها» تعني الاستعانة بكلا الصبر والصلاة، فهما - إذاً - رِدف بعض ولصِق بعض في حظيرة الإيمان، مهما اختلفت مجالاته في تأثير أهم لأحدهما صبراً أو صلاة، وقد فصَّلنا القول فيهما على ضوء آية الخاشعين، وإن من الصبر ممدوح مأمور به، ومنه مقبوح منهي عنه كالصبر على الظلم والضيم.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

والاستعانة بالصبر والصلاة في كلّ المجالات لها دور عظيم عميم لإدارة الشؤون الحيوية الإيمانية، فردية وجماعية في كلّ الحقول، ولا سيّما في حقل الجهاد، فإنه للمسلمين حياد ومهاد وسداد، فعلى الأنفس المؤمنة أن تكون مشدودة الأعصاب، شديدة الاعتصاب، مجندة القوى، يقظة للمداخل والمخارج، وللداخل والدخيل والخارج، والزاد الأوّل في كلّ ذلك هو الصبر، صبراً عن المعاصي وعلى الطاعات، وعلى جهاد المشاقين الله، والكائدين بشُرْعَةِ الله، وصبراً على بُطءِ النصر، وعلى بُعد الشقة وعلى كلّ مشقة في هذه السبيل الشاقة الطويلة، وعلى انتفاش الباطل وقِلَّة الناصر، وعلى التواء النفوس وضلال القلوب وثقلة العناد ومضاضة الأغراض، ومن «استقبل البلايا بالرحب وصبر على سكينة ووقار فهو من الخاص ونصيبه» ما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] وحين يقلُّ الصبر أو يكلُّ فالصلاة، وإنها المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد، تُجدِّد الطاقة الكليلة، وتُزوِّد القلوب العليلة، فيمتد - إذاً - حبلُ الصبر دونما انقطاع، فـ ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ومن الصبر في المقال بعد الصبر في الحال والفعال:

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾:

هذه من الآيات الدالات على الحياة البرزخية، تختصّ هنا بمن يقتل في سبيل الله لمُناسبة المسرح والموقف، فـ ﴿أَمْوَٰتُۢ﴾ هنا يعني موت الفَوْت الذي ليس فيه ولا بعده حياة، فهو الموت المطلق، لا مطلق الموت الذي

(١) نور الثقلين ١: ١٤١ عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: . . . وفيه عن تفسير العياشي عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا فضيل! بلِّغ من لقيت من موالينا عنا السلام وقل لهم إني أقول: إني لا أغني عنكم من الله شيئاً إلّا بورع فاحفظوا ألسنتكم وكفوا أيديكم عليكم بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين.

قد تُصاحبه حياة تعنيها ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ فهم أحياء بعد موتهم ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ حسيّاً أنهم أحياء، فاشعروا معرفياً بما يعرّفكم الله أنهم ﴿أَحْيَآءٌ﴾.

وإنها ليست - فقط - حياة الذكر بعد الموت، فما هي الفائدة للميت دون حياة أن تكون له حياة الذكر وهو لا يشعرها، ثم الثانية النظيرة لها، الشارحة لحياتها أكثر منها ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ... فَرِحِينَ ... وَيَسْتَبْشِرُونَ... أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١] تصريحات لا حِوَلَ عنها لواقع الحياة بعد الموت دون حياة التخيّلات، وسوف نأتي على تفصيل القول عند تفسيرها.

إنهم يعيشون بعد موتهم «في الجنة على صور أبدانهم»[٢] «في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»[٣]، وفي صيغة ثالثة «إن الأرواح في صفة الأجساد»[٤].

وما أَقْبَحَها فريةً على رسول الهدى ﷺ أنهم «في صورة طير بيض تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش»[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩، ١٧٠.

(٢) المصدر في المجمع عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين؟ فقال: في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان.

(٣) المصدر عن المجمع عن يونس بن ظبيان قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قلت: يقولون: في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر، يا يونس! المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ...».

(٤) في الكافي عن الصادق عليه السلام: ... في شجر من الجنة تعارف وتساءل فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول دعوها فإنها قد أقفلت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان، فإن قالت لهم: تركته حياً ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك قالوا: قد هوى هوى.

(٥) الدر المنثور ١: ١٥٥ قال ﷺ في صورة ...، وفيه عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة.

فلو أنَّها - فقط - حياة الذكر، فكيف «لا يشعرون؟» وحتى الماديين الناكرين للحشر يمشون وراءَ حياة الذكر، رغم أنها لهم خيال على خيال، فإن حياة الذكر إنما يشعرها ويعمل على تحصيلها من له حياة بعد الموت حتى يلتذ بحياة الذكر فيها.

وإن حب حياة الذكر - الفطري - هو من الأدلة الفطرية على استمرارية الحياة بعد الموت، وهو من الحجج الدامغة على ناكري الحياة بعد الموت، إذاً لو لم تكن بعد الموت حياة، فأي دافع لمن يبُطل حياته لبقاء آخرين، وأن يَحرم نفسه لذَّاتها ليتمتع آخرون، حيث العاقل - أيّاً كان - لا يعطي إلّا استعطاءً بديل ما يعطي، إما هنا أم في الحياة الأخرى، وليست حياة الذِّكر لها دور إلّا لمن يحيى بعد موته حتى يشعر تلك الحياة، وإذ لا حياة فلا شعور للذّكر حتى يجهد في تحصيله!.

وقيلة القائل: إن الخطاب في ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾ موجه إلى المؤمنين الذين يعتقدون في الحياة بعد الموت كأصل ثالث من الدين، فكيف ينهاهم عن قالتهم هذه وهم مؤمنون؟ فلتكن ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ حياة الذِّكر!.

إنها مردودة عليهم، بأن الحياة البرزخية لم تكن باهرة لهم كحياة القيامة، وهذه هي الثالثة من أصول الدين، وأما البرزخية التي يَشك فيها حتى الآن جماعة من المسلمين، منهم قائل هذه القيلة - فلم تكن بذلك الظهور، فلتذكر لهم بمثل هذه الذكريات التي تحملها الآيات البرزخية الباهظة، الناهضة لما فوق العشرين![1].

ثم وحياة الذِّكر أيضاً - إضافة إلى أنها لائحة حتى للماديين - هي كذلك تتطلب حياة بعد الموت تُدرك فيها كلذّة من ملاذها! وإذا لا تُدرك إذ

(١) أخرجه مالك والشيخان عنه ﷺ.

لا حياةَ بين الدنيا والآخرة فكيف يرغِّب القرآن المؤمنينَ إلى حياة تخيلية لا واقع لها؟!.

فالقول إن ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ قد تعني الحياة الأخرى، يرده أن الاعتقاد فيها هو من أوّليات العقائد الإسلامية التي ابتدأ الإسلام بها، ثم العبارة الصالحة لخصوصها «بل هم يحيون» دون ﴿أَحْيَآءٌ﴾ الدالة على استمرارية الحياة دون فوت، فلنستعن بالله صبراً - فيما نستعين - بالصبر على أمثال هذه الأقاويل، والردّ عليها بنصوص من القرآن كهذه وأضرابها.

وهنا احتمالات أخرى لا تحملها هذه الآية وأضرابها الصريحة في الحياة البرزخية[1]... وترى الآية - بعدُ - مختصَّةً بحياة الشهداء، نافيةً لحياة غيرهم من السعداء والأشقياء؟ كلّا! فإن هذه الحياة الخاصة رزقاً عند ربهم، هي للنبيين أخص، وليسوا كلّهم ولا جُلُّهم من الشُّهداء، كما وفي غيرهم من هو أفضل من بعض الشهداء، فلماذا تختص هذه الكرامة - فقط - بالشهداء! ثم وإثبات الحياة البرزخية للشهداء، ليس لينفيها عن غير الشهداء، لا سيّما وأن المجال هنا مجال الترغيب للقتال في سبيل الله، وجبر خواطر أهليهم أن افتقدوهم، فلكلّ مجالٍ قالٌ، كما لكلّ قالٍ مجالٌ.

ومن ثم فعشرات من الآيات الدالة على الحياة البرزخية لكافة المكلفين، مؤمنين وكافرين، إنها تدلنا دلالة قاطعة لا محيد عنها على شمولية الحياة البرزخية دونما استثناء! وسوف نوافيكم بقول فصل حول الحياة البرزخية على أضوائها في محالها حسب دلالاتها وأدلتها.

ثم وفي رجعة ثانية إلى الآية ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ نهي عن قولة الممات

(١) كالقول إنها حياة الهدى، الظاهرة في الأخرى، أم استمرارية الحياة الدنيا بنفس هذا البدن أم حياة روحانية محضة دون أي جسم، أم حياة أرواحهم في أجساد أخرى غير أجسادهم، امّا ذامت تقولات زور لا سند لها إلّا تطفلات!...

للشهداء، وطبعاً في حقل «مات وفات» ثم لا حياة بعد ما مات أبداً، ولا يقوله مسلم، أم لا حياة في البرزخ بين حياتي الأولى والأخرى كما كان يظنه المسلمون فيمن سواهم ولمّا يبين لهم برزخ الحياة، فهذا من البيان: ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾ - هم - أموات» ﴿بَلۡ﴾ قولوا ﴿أَحۡيَآءٞ﴾ وإن لم تشعروا تلك الحياة، وقد يشعركم إياها حالة النوم: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾[1] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾[2].

إنهم قُتلوا في ظاهر الجسد الدنيوي، وما يشعركم أنهم - كذلك - قُتلوا في الروح وفي جسد آخر هما غير محسوسان، فحين يُخْبِرنُا ربنا ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾ نُصدِّقه كما نُصدِّق الحياة المحسوسة وأحرى، حيث الوحي أحرى بالتصديق من الحسن وأقوى.

أجل! ﴿أَحۡيَآءٞ﴾ أحيا من قسم كثير من الأحياء في البرزخ، ولذلك لا يُغسَّلون كما يُغسل الموتى، ويُكفّنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، فالغُسل تطهير للجسد الميت وهم لا يُحكم عليهم - بقتلهم - حكم الميت، فثيابهم بعد قتلهم هي ثيابهم قبله! رمزاً إلى حياة لهم قوية فائقة.

وقد وردت في شأن الشهداء آيات وروايات، فتراهم يقرنون بالنبيين والصديقين قبل الصالحين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[3] ومن الشهداء هم القتلى في سبيل الله، لا سواه.

وفي حديث الرسول ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلّا الشهيد ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»[١].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾:

في ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ تأكيدات ثلاثة في تحقيق ذلك البلاء، ثالثتها جمعية الصفات الربانية المستفادة من صيغة المتكلم مع الغير، فلا بدّ في مسرح الإيمان من مصرع البلاء بشتى الألوان، نفسياً: ﴿مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ وبدنياً: ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ ومالياً: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ ونفسياً لكم ومن هو مثلكم: ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ وكضابطة تشمل كلّ نفس ونفيس من غال ورخيص: ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

فـ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ تعم ثمرات العقول والعلوم والقلوب، ومن الثالثة الأولاد الصالحون الذين هم من أغلى ثمرات الحياة، مهما شملت ثمرات الزرع والضرع، حيث الثمرات النفسية أنفَسُ وأغلى من ثمرات الجسم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على هذه البلايا المحلقة على المؤمنين فيما لَهم من حيويات روحية ومادية: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[٢].

أجل و«إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويتذكّر مُتذكِّر»[٣]، ثم

(١) عن نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.
(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.
(٣) عن نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

و﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[١] كما يبتليهم وهم صالحون، مخلِصون ومخلَصون: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾[٢]. وكضابطة عامة: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٣] ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤].

لا فحسب - بل والشُّرْعة الإلهية بتتابعها في مختلف طقوسها بأدوارها بلاء: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٥] ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٦].

بل والموت والحياة كلٌّ بلاء: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٧].

ثم «إن أشد الناس بلاءً النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يُبتلى المؤمن على قَدْرِ أعماله الحسنة، فمن صحَّ دينه وصحَّ عمله اشتدَّ بلاؤه وذلك أن الله عزوجل لم يجعلِ الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبةً لكافرٍ، ومن سخف دينه وضعُفَ عمله فقد قلّ بلاؤه، والبلاء أسرع إلى المؤمن المتقي من المطر إلى قرار الأرض»[٨].

وحينما نرى أصحاب الغايات الدنيوية الدانية يتحمَّلون مُخْتلف ألوان

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.
(٧) سورة الملك، الآية: ٢.
(٨) نور الثقلين ١: ١٤٣ في العلل بإسناده إلى سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في كتاب علي عليه السلام: . . .

البلاء من أجل الحصول عليها، فبأحرى لأصحاب الغايات الأخروية أن يتحملوا خلفياتها وأعباءَها.

كما ولا يدرك الآخرون قيمة الإيمان إلّا حين يرون ابتلاء أهله وصبرهم على شديد بلائه، وعندئذٍ قد ينقلب المعارضون لعقيدة الإيمان باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها.

فالشدائد تشجيش مكنونات القوى، ومذخورات الطاقات، فاتحة في القلوب منافذ ومسارب ما كان لِيَعْلَمَها المؤمن في نفسه إلّا تحت مطارق الشدائد، فـ «عند تَقلُّب الأحوال تعرف جواهر الرجال».

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلايا والرزايا «فمن سترها ولم يشكُ إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستر فهو من العام ونصيبه» مما قال الله ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(١)].

وإن أبلى البلاء للمؤمنين هو في الغيبة الكبرى لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهو أصدق مصاديق آية البلاء[(٢)].

ومَن هم الصابرون - ككلّ - حتى نعرفهم بأجمعهم في صيغة مختصرة؟:

---

(١) مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام في كلام طويل: . . .

(٢) نور الثقلين ١: ١٤٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن مسلم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن لقيام القائم عليه السلام علامات يكون من الله عزوجل للمؤمنين، قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال: ذلك قول الله عزوجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: ١٥٥] يعني المؤمنين قبل خروج القائم عليه السلام ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ بغلاء أسعارهم، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ قال: كساد التجارات وقلة الفضل ونقص من ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ قال: موت ذريع ونقص من ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لقلة ريع، يزرع ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] عند ذلك بتعجيل الفرج، ثم قال يا محمد! هذا تأويله، إن الله عزوجل يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾:

﴿مُّصِيبَةٌ﴾ هي صفة لـ«رمية» وأصلها «رمية مصيبة» فتشمل كلّ رمية من أيٍّ رام تصيب الإنسان، في نفسه أو مالِه، أمّا لَه على أية حال، وهي تأتي لخير قليلاً ولشرّ كثيراً، ومن مصيبة الخير إقبال الدنيا على المؤمن بماله ومناله ورئاسته، فإنها بلاءٌ يصيب على المبتلى بها أن يتخلص عن أوزارها وأوضارها، ولكن ﴿إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ قد تختصها بمصيبة الشرِّ، أو يُقال إن الحياة العادية بين إقبال الدنيا وإدبارها هي قليلة البلاء أو خفيفتها، فإنما المُهم ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[١] فالعوان بينهما خارج عن تلك البلية.

والمُصيبة - وهي - في الأكثر - التي توجع الإنسان قل أو كثر - قد تكون بما قدمت أيدي المصاب: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٢] - ﴿فَأَصَـٰبَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾[٣] وأخرى بما كسبت أيدي الناس ظُلماً: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾[٤]، حيث تجب فيها الدفاع حسب المستطاع: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[٥]، ويجمعهما ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أنفسكم أو سواكم: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٦].

والمُصيبة إن كانت حسنة فمن الله وإن كانت سيئة فمن نفسك وكلٌّ من عند الله، حيث يأذن له تكوينياً مهما كانت غير مأذونة تشريعياً: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٧] ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٢.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٩.
(٦) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٧) سورة التغابن، الآية: ١١.